قال علي وهو يضحك: وهل حال مثلي تخفى على مثلك؟ أتراني قصرت في بعض حقوق التجارة فأجلت لك أو لغيرك حقًّا؟ بل أَتُرَاكَ أحسست مني حاجة إلى التأجيل والمهلة؟

قال عبد الرحمن: فهذا ما سألت عنه نفسي منذ الليلة، وإنَّ كرام الناس مثلك ليعنفون بأنفسهم أشد العنف حتى لا يظهر أحد على ما يحبون أن يخفوا من الأمر، وقد عرفت ما بينك وبيني من الود والإخاء، فأنا عند ما تحب من المعونة إن احتجت إليها في تجارتك أو في تزويج خالد؛ فإن خالدًا عندي بمنزلة ابنيَّ رحمهما الله.

قال عليٌّ: بارك الله عليك في مالك وولدك! ولكن أفهمت معنى الآية التي تلاها الشيخ؟ قال عبد الرحمن: لم أفهمها، ولكني قدَّرت أنَّ الأمانة هي هذه الولاية التي يتعرض لها خالد على حين قد خُلق للتجارة والعمل فيما نعمل فيه من أمور الدنيا، وما ينبغي أن نتحرَّى الدقة حين نسمع شيوخنا يتحدَّثون أو يتلون القرآن ويروون الحديث؛ فإنَّ لهم آفاقًا لا نبلغها، ولو قد فَهِمْنَا عنهم كُنه ما يريدون لكنَّا مثلهم أساتذة وشيوخًا، وأنت تعلم أنه لم يُؤذن لنا في شيءٍ من ذلك. قال علي: لأراجعن الشيخ فيما أراد إليه.

وأنفق الصديقان يومهما كما تعودا أن ينفقا أيامهما، فلما صُلِّيَت العصر وشُربت القهوة، وكان التدخين والنشوق، سعيًا إلى الشيخ، فأقاما عنده بين التلاميذ والمريدين ما شاء الله أن يقيما، وعليٌّ يهم أن يراجع الشيخ فيما سمع منه، ولكنه لا يجرؤ. حتى إذا نُودي لصلاة المغرب التفت الشيخ إلى عليٍّ باسمًا، وقال له: يا عليُّ، زوِّج ابنك وليعنك علي ذلك عبد الرحمن، فإني أخشى عليه الولاية التي لم يُخلق لها، ثم تلا الآية الكريمة. وهمَّ علي أن يسأله، ولكنه نهض فاستقبل القبلة وأقام الصلاة وصلى من خلفه تلاميذه ومريدوه.

وكان الشيخ إذا أقام صلاة المغرب لم يفرغ لأحد بعدها، وإنما يمضي في تسبيحه وتحميده حتى يتقدَّم الليل، فيقيم الصلاة الآخرة، ويمضي في تسبيحه وتحميده ساعة تطول أو تقصر حسب ما يكون من إقامة الذكر أو لا يكون، ولكنه على كل حال لم يكن يخلص لأصحابه إلا في ساعة متأخرة جدًّا من الليل. وقد حضر الصديقان مع شيخهما صلاة المغرب والعشاء وطرفًا غير قصير من تسبيحه ودعائه، ثمَّ انصرفا ولم يستطع عليٌّ أن يراجع الشيخ في شيء، وإنما عاد إلى أهله مشغولًا كثير التفكير، ولكنه على ذلك لم يتحدث إليهم في شيء، بل ركع ركعتيه وأوى إلى مضجعه، فتلا آية الكرسي وترك نفسه للنوم، ثم أصبح من غده كما أصبح من أمسه حائرًا يسأل نفسه عن هذه المعونة التي